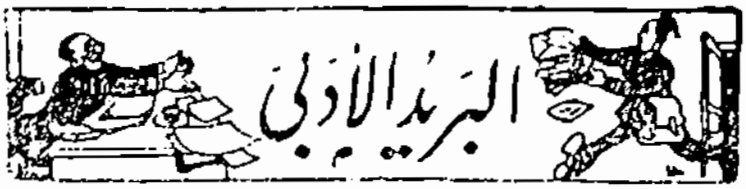

من أين لك هذا ؟

قد يكون من المفيد — بعد ما تبين لأولى الأمر منا أي ضرورة ملجئة ، وأي مصلحة عامة تجعل حتما سن مثل هذا القانون — أن نذكر أن الحكومة الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرنا ، فطنت إلى هذا القانون ، فنادى به محمد صلى الله عليه وسلم زعيم الإصلاح ، ومعلم الإنسانية الأول ، وآمن به من بعده إيمانا لا يتسرب إليه الشك . والتاريخ يحدثنا عن غير واحد من علية القوم ووجهائهم ممن حوكموا بمقتضى هذا القانون ، فهذا خالد بن الوليد الذي اقتعد غارب المجد ، وتسنم ذروة الشرف ، وأبلى في الدفاع عن الإسلام أحسن البلاء ، لم يغن عنه كل أولئك أمام الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فحين أحس أنه أثرى فجأة — وكان عاملا له — عزله من الولاية ثم استجوبه وحقق معه ، ورد إلى بيت المال بعض أمواله

روى الطبري أن خالد بن الوليد إثر عودته من «قنسرين» ، بعد أن أظفره الله عليها ، وأفاء خيرا كثيرا عليه ، وفدت عليه الوفود ، وكان ممن وفد عليه الأشعث بن قيس ، فأجازه خالد بعشرة آلاف . وسرعان ما انتهى إلى الخليفة العادل الساهر هذا النائل الغمر ، فأرد إلى أبي عبيدة (أن يقيم خالدا ، ويعقله بعمامته ، وينزع عنه قلنسوته ، حتى يعلموا من أين إجازة ابن الأشعث ؟ أمن إصابة أصابها ؟ أم من ماله ؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة ، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف ، واعزله على كل حال ، واضمم إليك عمله) فكتب أبو عبيدة إلى خالد ، فقدم عليه ، ثم جمع الناس ، فقام البريد . فقال : يا خالد ! أمن مالك أجزت بعشرة آلاف ؟ أم من إصابة ؟ فلم يجبه ، حتى أكثر عليه — وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئا — فقام بلال إليه فقال : إن أمير المؤمنين أمر بكذا وبكذا فيك ، ثم تناول قلنسوته ، فعقله بعمامته وقال : ما تقول ؟ أمن مالك ؟ أم من إصابة ؟ فقال : لا ! بل من مال ، فأطلقه ، وأعاد إليه قلنسوته ، وعممه بيده ، ثم قال : نسمع ونطيع لولاتنا ، ونفخم ونخدم موالينا . وعندما قدم خالد على عمر المدينة ، بعد عزله ، شكاه إلى المسلمين وقال له : لقد شكوتك إلى المسلمين ، وبالله إنك غير عجل في أمري يا عمر .. فقال عمر : من أين هذا الثراء ؟ قال خالد : من الأنفال والسهمان ، وما زاد على الستين ألفا فلك . فقوم عمر عروضه ، فخرجت إليه عشرون ألفا ، فأدخلها بيت المال ، ثم قال : يا خالد ! والله إنك على لكريم ، وإنك إلى لحبيب ، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء

وكذلك وقف عمر بن الخطاب موقفا مشابها من والي مصر عمرو بن العاص ، فقد كتب إليه : « أما بعد ، فقد بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبيد ، وعهدي بك ولا مال لك ، فاكتب إلي من أين أصل هذا المال ؟ ولا تكتمه »

فأجابه عمرو « . . وإني أعلم أمير المؤمنين أنني ببلد السعر فيه رخيص ، وإني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله ، وفي رزق أمير المؤمنين سعة ، ووالله لو رأيت خيانتك حلالا لما خنتك ، فاقصر أيها الرجل ، فإن لنا أحسابا هي خير من العمل لك ، إن رجعتنا إليها عشنا بها »

على أن عمر لم يجد في هذا مقنعا ، فأرسل إلى عمرو محمد بن سلمة ليشاطره ماله . وعندما قدم رسول عمر إلى عمرو قدم إليه أصنافا كثيرة من الأطعمة ، فرفض أن ينال منها شيئا ، فقال له عمرو : أتحرمون طعامنا ؟ فقال : لو قدمت إلى طعام الضيف لأكلته ، ولكنك قدمت إلى طعاما هو تقدمة للشر . نح عني (أكالك) طعامك ، وأحضر إلي مالك ، واكتب إلى كل شيء هو لك ، ولا تكتمه . فشاطره ماله أجمعه ، حتى بقيت نعلاه ، فأخذ إحداهما وترك له الأخرى . هذا وغيره كثير وفي هذا بلاغ

وصنيع عمر هذا يعد من قبيل الاحتياط والتورع ، ولم يكن عن خيانة من خالد أو عمرو ، فإنهما أعز وأكرم من التماس الغنى والثراء مما لا يحل ، يدل لهذا كتاب عمر إلى عمرو بن العاص « والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية هذه الأمة ، وآنست من نفسي ضعفا ، وانتشرت رعيتي ، وعرق عظمي ، فاسأل الله أن يقويني إليه غير مفرط ، والله إني لأخشى لو مات جمل ناقص

عملك ضياعا أن أسأل عنه »

وورد فى كتاب من عمرو لعمر « معاذ الله من تلك الطعم ، ومن شر الشيم ، والاجتراء على كل مأثم ، فاقبض عملك ، فإن الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنيئة ، والرغبة فيها »

أما موقف سيدنا خالد فيشهد لما أشرت إليه ما جاء على لسان أمير المؤمنين نفسه ؛ على ما مر بك ، والله ولى التوفيق

رياضه عباس

عبد المنصف محمود باشا

كان لتعيين عبد المنصف محمود باشا وكيلا لوزارة الداخلية وقعه الجميل فى نفوس أصدقائه ومحبيه . وإنى وإن كنت ممن لم يتشرفوا بتلك الصداقة الشخصية ، إلا أن للرجل فى نفسى مكانة أدبية من حق الرسالة على أن أنوه بها ، على سبيل التهنئة الخالصة لوجه الثقافة والأدب

ولقد أشرت فى تقريظى لكتاب « السنوسية دين ودولة » للدكتور فؤاد شكرى إلى رجالات مصر الذين أسهموا فى الجهاد الليبى ، وذكرت من بينهم عبد المنصف محمود الذى كان ضابطا فى ذلك الوقت

وعسى ألا يغيب عن الأذهان أن عبد المنصف محمود — الذى كان من قبل مديراً لمصلحة خفر السواحل ومصائد الأسماك — من أدباء الإسكندرية المدودين ، ومكانه فى ثقافة عروس البحر لا يزال كالدر اللامع فى جيد الأدب الرفيع

ولم تكن مشاغل الوظيفة لتصرفه عن التأليف والبحث ، فوضع سلسلة من الكتب القيمة عن بحيرات مصر ، ضمنها دراسات تاريخية واجتماعية وأدبية ، وجمع فيها بين التقرير والتقدير ، ولما كنت قد وضعت سنة ١٩٣٦ كتاب « إدكو » ودرست فيه كل ما يتعلق ببلدة إدكو ، فإن كل دراسة تتصل بها مما يدفعنى إلى التلهف عليها ، لهذا كنت أتابع عبد المنصف محمود باشا فى كتابه « على ضفاف بحيرة إدكو » كما أنى اشتركت فى المعركة الفكرية بين الرأى القائل بتجفيف تلك البحيرة أو الإبقاء عليها ، وأدليت برأيى على صفحات الأهرام

أما عبد المنصف محمود ، وهو الشاعر الحريص على الجمال ، فقد كان يرى عدم التجفيف لتظل البحيرة كغيرها من البحيرات « ترصع جيد مصر » ، ومما جعلنى أخالفه فى هذا الرأى ما انتهت إليه الحالة الاقتصادية فى إدكو من تدهور أدى إلى انهيار اجتماعى عام ، ولولا ذلك لحرصت أكثر منه على بقاء هذه البحيرة الجميلة وهى أول ملهم لى فى حياتى الأدبية ، حتى لقد كانت قصيدتى « البحيرة الناعسة » أول ما نشر لى فى الأهرام وأنا طالب بالسنة الثالثة الثانوية سنة ١٩٣٣

وعسى ألا يكون المنصب الجديد بعموق شاعر البحيرات من المضى فى بحوثه وأشعاره ، وأمل الرسالة فى الباشا كبير الا يحرمها من نفحاته ، وكيف لا يفعل وهو تلميذ صاحب الرسالة ؟ ولعلى بهذا أن أكون قد اشتركت بتقديم هذه التحية مع المهنئين

محمد محمود زيتون

لجنة النشر للجامعيين

تقدم الجزء الأول من

جهاد النبى

حوار غير تمثيلى .. يجمع بين روعة التاريخ .. وطرافة الفن .. وصدق الإيمان .. فى عظمة الإسلام

تأليف

الأستاذ محمد محمود زيتون

ويليه الجزء الثانى

(مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقى باشا بالفجالة)

عدد النسخ محدود